

## «كان يا ماكانش» كوميديا تونسية تتمرد على النمطية شكلا ومضمونا

الدرامي بإشوائية بصريّة تنهل من الفنون التشكيلية ومفرداتها المفاهيمية والتجهيزية حتى، وكاننا إزاء مشاهد/لوحات جمعت بين التعبيرية حيناً والتكعيبية في أحيان أخرى والوحوشية أيضاً، لتمنحنا أيقونات سرالية تُعيدنا في جزء كبير منها إلى ما ابتدته ريشي البلجيكي رينيه ماغريت والإسباني سلفادور دالي، لكن بالصورة والصوت.

وكل هذه التعبيرية الصوريّة ما كان لها أن تصل إلى اكتمالها، ولو أن الاكتمال غاية لا تترك في عالم الفنون والجنون، في غياب كاستينغ مُثَقّن، جمع بين المواهب الصاعدة على غرار اكتشاف الموسم الدرامي الحالي سيف عمران في دور «مهراش»، وأخرى مخضرة كجمال مداني في دور «خفاش» وهالة عباد في دور «الملكة سموم»، وفالقة مكرسة كعبد الحميد قياس في دور «بقراج» وفاطمة بن سعيدان في دور «ميمّة» في أول ظهور تلفزيوني لها.



«كان يا ماكانش» أتى عنوانه مُعارضة كوميدية لجملة «كان يا ماكان»، ما يعلنه منذ البداية عملا مختلفا

شخصيات بأسماء غريبة، وما هي بغريبة على المواطن التونسي، فهي مُستلهمة من استعمالاته اليومية المحلية ومحيطه الطبيعي كـ«نعنان» و«برغل» و«اموس»، وأسماء وشخصيات مُختارة بعناية كي تطبع عميقا في الذاكرة الشعبية للمواطن التونسي الذي تروقه طراقة الأسماء المشابهة التي تجود بها قرحة كتاب السيناريو من قبيل «سحليش» في «الخطاب على الباب» و«سطوكو» في «لوتيل» و«بوشة» في «نسيبتي العزيزة».

هكذا استطاع بوشناق في ثالث أعماله الإخراجية التلفزيونية بعد «هانركم» و«نوبة» من تقديم طبق كوميدي دسم منطلقاته ما كانت ترويه الجذات لأحفادهم قبل أن يخلدوا إلى النوم. لكن بخيال جامع يجمع الماضي بالحاضر في استشراف لمستقبل غامض لبلد كان يسمي في ما مضى بجمهورية روما ودرّة المتوسط قبل أن تجف ينابيع الخيال فيه، فيسقط من علبائه إلى يمين سحلي لا يُرجى منه النهوض من جديد -في المدى القريب على الأقل- إلا متى تكاثفت جهود أهله ومن مروا به ولو لمسافة يوم وليلة، لطر الغزاة الجدد من أبناء الوطن الواحد الطامعين في العرش كصالح «الخضراء» أو «ملكة ساطور» في «كان يا ماكانش».



خيال درامي يمزج بين الخرافة الشعبية والقصة العالمية

شهد الموسم الدرامي الرمضاني التونسي حضور عدد كبير من السلسلات الكوميدية، أتت غالبيتها بطابع بوليسي على غرار سلسلتي «الجاوس» و«1616»، وبدرجة أقل السلسلة التونسية الجزائرية المشتركة «المليونير»، فيما أتت أخرى ضمن ما يُصطلح على تسميته باللايت كوميدي كـ«ابن خلدون» و«عيشة فل» لتحلق وحدها سلسلة «كان يا ماكانش» خارج السرب مقترحة فانتازيا كوميدية تستلهم من التاريخ مُفرداتها الدرامية في إسقاط على الراهن التونسي المعيش.

عرف في موسمين متعاقبين 2019 و2020 نسب مشاهدة عالية وإشادة من قبل النقاد والجمهور على السواء، اختار هذا العام للعب على وتر الفانتازيا السحرية، مُستعرضا قصة متخيّلة وبإخراج مُبتكر، يؤسس لشكل درامي مُختلف ومُربك في الآن ذاته.

عمل فانتازي قسّم الشارع التونسي والنقاد إلى فريقين، فريق مرّحّب بال طرح الجديد الذي استطاع دون تكلف ويعيد عن الابتذال وافتعال الضحكات المجانية الجمع بين الفانتازيا التاريخية والخيال العلمي وكوميديا الموقف والنقد اللاذع لكل ما هو اجتماعي وسياسي واقتصادي، بل وتاريخي أيضا في دعوة صريحة لإعادة قراءة تاريخ تونس لثلاثة آلاف سنة حضارة وأثرين.

الامر الذي جعل جل جوائز الدورة السادسة من مسابقة «رمضان أوارد» التي تنظمها سنويا المجلة التونسية «توينفزيون» (خاصة بالشراكة مع «إذاعة الشباب» (عمومية) تذهب إلى «كان يا ماكانش».

في حين رأى فريق آخر أن العمل عصي على الفهم برموزه العديدة وحكاياته المتشعبة والمستلهمة من أمهات القصص العالمي كحكايات «البيس والذئب» و«بيضاء الثلج» و«اليس في بلاد العجائب»، إلى جانب إسقاطاته التاريخية المتكررة في استحضار لاساطير عيسية وجنكيز خان والإسكندر، لكنه الأصغر هذه المرة، وجمعه بين العامية والفصحى في بعض الحلقات كحلقة «الشنفخاء»، إلى جانب إطنابه في الانتقال من حقبة تاريخية إلى أخرى دون تسلسل منطقي، ممّا أربك انتباه المواطن البسيط الذي لم يستطع السباحة ضد تيار ما اعتاد على مشاهدته لعقود متعاقبة.

والحال أن السلسلة ومنذ حلقتها الأولى، بل ومن خلال عنوانها الذي أتى مُعارضة كوميدية للجملة المعروفة «كان يا ماكان»، أعلنت نفسها عملا مُغايرا من خارج الصندوق، يتمرد على التقليدية والنمطية والقوالب الكوميدية المتوقعة، وهو ما يُحسب للسلسلة التي جعلت المتابع الحصيف يذهب بعيدا في التاويل كل حسب ثقافته واطلاعه البصري على كبرى الأعمال العالمية كـ«سيد الخواتم» و«هارلي بوتر» و«صراع العروش»، و«كاملوت» الفرنسية و«عاشور العاشر» الجزائرية. لكن بنكهة تونسية من الألف إلى الياء.

هذا على مستوى البناء الدرامي، أما الإخراج فقد حفل بصورة ناصعة وساطعة لونا وضوءا، يؤسس لمشهد كوميدي مليء بالحركة والإيقاع رغم السواد والكساد اللذين يحيطان بالبلاد من كل جانب.

كوميديا بازياء مُبهرة ومناظر طبيعية خلابة وإكسسوارات مُبهجة وزوايا تصوير مدروسة تخدم التنسّق



تونس - ما الجدوى من وراء الفن والثقافة إن لم يكونا محفّزين على التفكير، فإعادة التفكير مع نقويض قناعاتنا السابقة شكلا ومضمونا؟

عن هذا السؤال تجيبنا سلسلة «كان يا ماكانش» التونسية التي عُرضت في 15 حلقة متصلة في الموسم الرمضاني الذي شارف على الانتهاء، وهي بالمناسبة لمن فاته متابعتها في النصف الأول من شهر رمضان، فيمكنه مشاهدة بقية حلقاتها المعروضة حاليا على «الوطنية 1» (عمومية) في إعادة ثانية قد تعقبها ثالثة ورابعة، وربما إلى ما لا نهاية، بعد انقضاء الشهر، وهي عادة جُبلت عليها القناة المنتجة للعمل، متى تحقق لأحد إنتاجاتها النجاح في استقبال المشاهدين ومن فمة المعلنين، طبعاً.

ولنا في سلسلة «شوفلي حل» المستمر عرضها على امتداد الفصول الأربعة وللعام السابع على التوالي، نموذجاً صارخاً لهذا الاستثمار المنتصر للمؤسسة على حساب الممثلين المشاركين فيه في ظل غياب المُستمر لقانون الفنان وحقوق التأليف في بلد يُخصّص أقل من واحد في المئة من موازنته لوزارة الشؤون الثقافية، لا أكثر.

وللصدفة فكلما السلسلتين، أي «شوفلي حل» بإجزائه الستة، و«كان يا ماكانش» في جزئه الأول المحفّر نجاحه على إنجاز أجزاء أخرى، من تأليف الصحافي والسيناريست حاتم بلحاج الذي اشترك في كتابته هذه المرة مع مخرج العمل عبد الحميد بوشناق وبطلة عزيز الجبالي الذي جسّد شخصية «برغل».

ومهما يكن من أمر القناة العمومية التي استعدت هذا العام بعضاً من برقيها الغائب منذ نحو عشرية، بفضل مراهنتها على عملين استثنائيين جمعت فيهما خيرة الأسماء التمثيلية التونسية، علاوة على السيناريو الجيد والإخراج المبتكر سواء في «حرق» التراجيدي أو «كان يا ماكانش» الكوميدي، فالنائب أن المعلنين، قدّما طرْحاً مُغايراً، بل استشرافياً يبشّر بانطلاقة جديدة للدراما التونسية تقطع مع ثقافة العنف في الأعمال التراجيدية والإسفاف والابتذال في السلسلات الكوميدية، اللذين استشرّيا منذ العام 2011 وما تلاه.

«كان يا ماكانش» تحديداً وتخصيصاً، وكعادة المخرج عبد الحميد بوشناق الذي ما انك يفاجئ المشاهد التونسي، ومن ثمة العربي، رغم قصر تجربته الإخراجية بالتجديد والتنوع، قاطعاً مع النمطية والاستكانة في المنطقة الأمتة.

فصاحب أول فيلم رعب تونسي «نشرة»، وسلسل «نوبة» الدرامي الذي

## «الطاووس».. تناول جريء لمشكلات التحرش وتداعياته

جمال سليمان: اغتصاب أمنية غير نظرة المحامي  
كمال الأسطول لنفسه ولمهنته وللحياة



«أمنية» ترفض الصمت على ما تعرضت له من اعتداء

باي طريقة لإيمانه ببراعة الفتاة، ويقوم بمساعدتها والوقوف إلى جانبها ضد المجتمع الذي عاملها بطريقة سيئة وزاد من الإغراء عليها.

### خروج عن المألوف

لفت جمال سليمان إلى أن العمل لم يكن معنيا بتسليط الضوء على فقدان القيم الإنسانية في المجتمع، لأن هذه القيم موجودة والمجتمع يملك الكثير منها، وهي التي تربّت عليها العديد من الأجيال، لكن هناك فئة ضالة عادة ما تخرج عن المألوف فترتكب أعمالاً خاطئة، ما يزيد معدل الجرائم، فالإنسان الذي يرتكب جريمة أو ينتهك حرمة النساء، عليه تقويم نفسه.

وعلى الرغم من مناقشة العمل لقضية حساسة عن الاعتصاب وتداعياته، إلا أنه لم يعرض أي مشاهد بذيئة أو خادشة للحياء، خاصة بعدما تردّد أن العمل سيتوقف عقب صدور قرار من المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام بالتحقيق في ملبساته، وهو ما لم يحدث، فقد تم عرضه على الرقابة، والتحقيق تم مع الجهة المنتجة والمؤلف وجرى توضيح الأمر، لأن العمل محترم ويشاهده كل فئات الجمهور العربي.



وذكر الفنان السوري في حوارهِ مع «العرب» أن المحامي كمال الأسطول لم يكن شريراً منذ البداية، فهو محامي تعويضات يأخذ نسبة من كل القضايا التي يترافع فيها، وهذا حقّه، وهو سلوك وليس صفّة، لأنه مجرد وسيلة للربح، كما يرى أمنية فتاة مغلوبة على أمرها وثيقة وتريد فقط إنقاذ سمعتها وإثبات براءتها، وهو ما حرص عليه.

ووافق سليمان على العمل، بعد أن جذبته دون النظر إلى مدى ما يتحقق من نسب مشاهدة، وكان وثاقاً في القصة وأحداثها، وبالفعل حدث ذلك وارتفعت نسبة المشاهدات وفاقت الكثير من الأعمال الأخرى المنافسة.

وكشف أنه لم يكن يعلم ما هو الترتيد إلا مؤخراً، فهو من الجيل الذي حقق شهرته قبل السوشيال ميديا، وقال عن العمل إنه يتناول العديد من القضايا المهمة في مسلسل واحد يمسه القيم الإنسانية والمبادئ، وأضاف «ما نذب فتاة بسيطة يتم اغتصابها وهي ذاهبة للبحث عن لقمة الرزق الحلال، بل وتبحث عن حقها، الذي يريد الخصوم إهداره».

ويعود سليمان إلى السينما المصرية من خلال فيلم «الكاين» بعد غياب سنوات طويلة، حيث قدّم آخر أفلامه «ليلة البيبي دول» مع المخرج عادل أديب ومشاركة العديد من النجوم، مثل الراحلين نور الشريف ومحمود عبدالعزيز وليلى علوي وسلاف فواخرجي.

حقّق مسلسل «الطاووس» المعروف على الفضائيات المصرية ضمن السباق الرمضاني الذي شارف على الانتهاء، نسب متابعة عالية بفضل طرحه الجريء لقضية التحرش الجنسي الذي يصل حدّ الاعتصاب، مُميّطاً للثام عن بعض مظاهر التفسّخ الأخلاقي الذي أصاب الشباب نتيجة تعاطيه المخدرات التي تذهب العقول.

محامي محترف، فهو عاش حياته يبحث عن مكسبه في كل قضية، حتى يواجه قضية أمنية التي غيرت نظرتّه إلى المهنة ولنفسه، كما غيرت أهدافه تماماً كحما، بسبب الظلم الذي وقع عليها، وشعر أنه كإنسان لا بد أن يدافع عن إنسان آخر لأقصى مدى، وخاض بسببها صراعات مع المحامي «ضياء شاهين»، والد أحد الشبان المتهمين بالاعتصاب.

وأضاف أن «الطاووس» يلقى الضوء على إيجابيات وسلبيات السوشيال ميديا، فهي تصل إلى كل الناس وترفع من معنويات بعضهم كما تكون سبباً في تعاسة آخرين ومصدر إزعاج للكثيرين.

### خطوط حمراء

أكد سليمان لـ«العرب» أن العمل لا يتحدّث عن قضية فندق «فيرمونت» الشهيرة في القاهرة، والتي اتهم فيها عدد من الشباب باغتصاب فتاة، أو أي قضية أخرى يعينها كما تردّد، لكن المسلسل يتحدّث عن ظاهرة اجتماعية لها علاقة بتجاوز الخطوط الحمراء، أخلاقياً وإنسانياً وقانونياً، ويتناول ظاهرة التمر في المجتمعات العربية والاعتداء على المرأة وتأثير ذلك عليها بشكل عام، علاوة على أنه يتطرّق إلى ملف المخدرات وتأثيرها على سلوك الناس، وتعجب سليمان من تشبيه البعض للعمل بأنه يشبه المسلسل التركي «فاطمة»، مؤكداً أنه لم يشاهده، ولا يوجد وجه للشبه في الفكرة.

ويعمل الفنان السوري على الشخصيات التي يقدها ويدرسها جيداً، وهنا قرّر ارتداء ثوب الحمامة بالفعل للقرب من شخصية «كمال الأسطول» ومعايشتها جيداً، حيث عقد جلسات عمل مع المؤلف كريم الدليل والمخرج رؤوف عبدالعزيز للوقوف على صفات المحامي، خاصة أن المؤلف يعمل في مهنة الحمامة، وهذا ساعده كثيراً على هضم تفاصيل الشخصية، كما شاهد مقاطع لفيديوهات على يوتيوب تتعلق بهذا النوع من القضايا المثيرة، قائلاً «مهنة الحمامة بها إجراءات قانونية معقدة لا بد من الفوص فيها».

وذكر في حوارهِ مع «العرب» أن المحامي كمال الأسطول اضطر إلى تقديم بعض الأدلة القوية التي تثبت براءة أمنية، وأنه تم الاعتداء عليها واغتصابها وهي فاقدة الوعي، وشهدت إحدى الحلقات حرق «طارق المنزلاوي» أحد المعتصمين لنفسه وانتحاره بعدما قامت والدته التي تعمل إعلامية فضحه عن طريق الخطأ بتدبير من كمال، وإعتراف «حماد» على نفسه ما أدى إلى سجنه. وأشار إلى أن شخصية كمال في المسلسل عنيدة، ويحاول إثبات البراءة



القاهرة - عاد الفنان السوري جمال سليمان إلى الدراما المصرية مدافعاً عن بعض القضايا الاجتماعية الحارقة، مثل التحرش والاعتصاب وتجاوزات مواقع التواصل الاجتماعي عبر شخصية «كمال الأسطول»، محامي التعويضات الذي يخوض العديد من المعارك القانونية وغير القانونية للدفاع عن إحدى ضحايا الاعتصاب في مسلسل «الطاووس» الذي يعرض حالياً ضمن السباق الرمضاني.

وقال سليمان لـ«العرب» هناك سيدات يتعرضن للاعتداء الجنسي والتحرش بسبب بعض الانحرافات السلوكية، وهذه قضية لا تهم المصريين فقط لكنها تهم الوطن العربي، فالبعض من الشباب الذين يلجأون إلى المخدرات ممّا يُذهب عقولهم فيرتكبون العديد من الكوارث بسبب نزواتهم التي لا تنتهي، الأمر الذي يتنافى مع العادات والتقاليد العربية، ولا بد من احترام المرأة في ما يتعلق بجسدها ويكافئها.

وأكد أن مسلسل «الطاووس» يتناول هذه القضية من خلال شخصية «أمنية» وجسدت دورها الفنانة سهر الصايغ التي تعرّضت للاغتصاب من أربعة شبان مدللين وأصحاب نفوذ في منطقة الساحل الشمالي على البحر المتوسط بمصر، عندما سافرت بحثاً عن الرزق، وعادت بخيبة أمل لتخوض حرباً من أجل إثبات براءتها.

وأوضح سليمان أن شخصية «كمال الأسطول» القانوني البارِع في قضايا التعويضات التي جسدها، مثل أي



المسلسل رغم مناقشته لقضية حساسة عن الاعتصاب وتداعياته، إلا أنه لم يعرض أي مشاهد خادشة للحياء